هي المقوم الأساسي لوحدة المسلمين

بقلم الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي (باكستان)

ظهر الاسلام لنشر السلام وتعميم الامن فى العالم وسادت اللغة العربية فى العالم عندما تدفق الدين الحنيف وانتشر فى الخافقين ، وقد كانت هذه اللغة قبل الاسلام محدودة فى نطاق جزيرة العرب رابضة فى الخمول .

فالقرآن الكريم الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بضع وعشرين سنة هو **الكتاب الاول الذى لقن العرب لاول مرة الهداية** ، وبين لهم قواعد المجتمع الانسانى واوضح الاصول والمبادىء التى لابد منها لتنظيم هذا المجتمع وبلورة حياته الثقافية والاقتصادية والسياسية .

ومن المحقق عند المؤرخين ان لغة امرىء القيس حامل لواء الشعر العربى ورائده لم تكن لغة منسجمة مع ثقافة الاسلام وانما كان الافتخار باللغة العربية فيما بين قبائل العرب فقط ، فاكثرهم كانوا غير مثقفين وغير مهذبين ، حتى ان اليهود والنصارى لم يعتنوا ءانذاك بترجمة كتبهم الدينية العبرية الى هذه اللغة .

ولا مراء فى ان الاسلام استحدث كلمات كثيرة فى معانيها الخاصة التى لها صبغة دينية نحو الصلاة والصوم والزكاة والصدقة وعديد من الالفاظ التى تتعلق بالمعاملات والعبادات فى الاسلام فصارت هذه الكلمات شائعة بين المسلمين فى كل ناحية من نواحى العالم وما زالت هكذا الى يومنا هذا . وعندما خرج المسلمون من قلب جزيرة العرب وبلغوا كلمة التوحيد الى اقصى الشرق والغرب **لقنوا كلمة الشهادة باللغة العربية ، وعلموا القرآن الكريم وشرحوه على منهج سليم** كما فعل جلة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فسارت فى ركبهم اللغة العربية ، اى لغة القرآن الكريم ، الى الاقاصى والادانى فنالت درجة عليا عند المشارقة والمغاربة الذين انهالوا على هذه اللغة وافتخروا بالمحاورة بها وتأدبوا بآدابها وهكذا عمت الثقافة الاسلامية بين الناس فى عهد الامويين وعهد العباسيين ، فاخذ اهل الاسلام العلوم والفنون من الاغريقيين والايرانيين والهنادكة ، وتقدموا الى اسنى المقاصد واعلى الدرجات، ودارت هذه العجلة فى بغداد والقاهرة والقيروان وغرناطة وقرطبة ، وكثير من بلاد المسلمين التى اصبحت بفضل الاسلام كعبة العلوم والفنون .

وقد عمل المسلمون بالاحكام القرآنية فى القرون التى كانت اقرب الى عهد الصحابة والخلفاء الراشدين ، وسلكوا على النهج النبوى ، على صاحبه الصلاة والسلام ، وقادوا الانسانية وشادوا الدين ،

ثم دب الضعف فى معتقداتهم فاستكانوا فى مساعيهم وذلوا وتقهقروا فى مجالاتهم الدينية والعلمية والثقافية ، وغلبت عليهم الاقوام التى كانت فى وقت ما تحت سيطرتهم فسرت بين المسلمين امراض مختلفة جعلتهم على هوة الهلاك .

فالقرآن موجود كما كان فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، موجود بكلماته الخالدة، وبيانه الحي، ولكن ليست هناك اعمال ولا افكار ، تتفق وتلك الروح الخالدة ، فليست هناك سوى اصوات جردت من معانيها ، ونتيجة لذلك اخذ التقليد يتمو فاحاط بكل طبقة من المسلمين .

لقد **اثرت اللغة العربية فى سائر اللغات التى كانت اداة تفاهم بين المسلمين** على اختلاف مناطقهم فلغة السواحلى والملطية مثلا يشملها كثير من الكلمات العربية، واللغة الاردوية المتداولة بين المسلمين فى الهند فيها كثير من الكلمات العربية والبنجالية كذلك . وقد احتال الخصوم بالهند للرسم الهندى (السنسكرتى) للاردوية واصروا على ترك الخط العربى عداوة للمسلمين والاسلام فلم ينجحوا . ولنا احسن مثال فى اللغة الفارسية التى اقتبست الكلمات العربية واساليبها بعد الفتح الاسلامى ، فتولدت من ذلك لغة جديدة فقدت خصائصها القديمة لسيطرة الثقافة الاسلامية عليها وقد ظهر فى هذه اللغة الجديدة من الشعراء مثل عباس المروزى والعطار وابن الرومى والنظامى ، والسعدى والحافظ والعراقى والامير خسرو والجامى وغيرهم ، فكثير من اقطار آسيا وافريقيا وباقى البلاد اعتضدت اللغة العربية وتعاليم الاسلام، فقويت شوكتها ودونت كثيرا من العلوم والفنون بالعربية ، فالحكماء والفلاسفة مثل الفارابى ، وابى حامد الغزالى ، وابى الريحان البيرونى ، والشيخ الرئيس ابن سينا ، والسمرقندى ، والمرغيناني وقاضى خان وامثالهم ، ممن صنفوا بالعربية كان لهم اعتزاز بلغة القرآن.

فطريق الخلاص اذن هو الرجوع الى الاسلام ولغة القرآن الكريم ، والتمسك بالاخلاق الفاضلة التى تكمن فيها اسباب الفوز والفلاح، وعوامل الرقي والنجاح. فنزول القرآن الكريم باللغة العربية حجة على انها هي **اللغة الفريدة التى تنسجم مع تعاليم الاسلام** وهي اللغة الرئيسية عند المسلمين فى سائر اقطار العالم ، وهي الرابطة الوحيدة فيما بينهم ، فلا بد من الحفاظ على لغة القرآن واتقانها لضمان التفاهم بين المسلمين .